

SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches (JISTSR)

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

WhatsApp: 0060178330229



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية
المجلد **6**، العدد 1، يناير 2020م
e-ISSN: 2289-9065

مفسدات البناء الإنساني والحضاري دراسة موضوعية من خلال تفسير الظلال

"THE SPOILERS OF HUMAN AND CIVILIZATION DEVELOPMENT: THEMATIC STUDY OF TAFSEER AL-DHILĀL"

الدكتور محمد أمين حسيني

أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، ماليزيا

amine-ha@hotmail.com

الأستاذ المشارك الدكتور: فؤاد بن أحمد بوالنعمة

قسم الحديث وعلومه، جامعة المدينة العالمية، شاه علم، ماليزيا

الأستاذ المشارك الدكتور: مصطفى عبد الله
أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، ماليزيا

1441هـ / 2020م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/9/2019
Received in revised form110/2019
Accepted 30/12/2019
Available online 15/1/2020
Keywords:

Abstract

This research aims to clarify the spoilers and obstacles of human and civilization development in the light of Quran according to Sayyid in His Tafseer *Fī Dhilāli al Qurʾān*. The problem statement of this research is that the spoilers of human and civilization development in the light of Quran as mentioned in Tafseer *Fī Dhilāli al Qurʾān* need to be identified and highlighted, the Quranic methodology in dealing with those spoilers and obstacles also need to be clarified. This research used the inductive and analytical approaches .The findings of the research show that the Qur'anic approach not only develops human and establishes civilization, but rather sets up mechanisms to protect and preserve them from which can interrupt and spoil the development process. In addition, the spoilers and obstacles of human and civilization development according to Tafseer *Fī Dhilāli al Qurʾān* are divided into two categories, namely: the internal and external.

Keywords: Spoilers, Quranic Methodology, Human Development, Civilization Development, Fī Dhilāli al Qurʾān,

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفسدات البناء الإنساني والحضاري في القرآن الكريم من خلال تفسير الظلال.

تكمن مشكلة البحث في أن مفسدت البناء الإنساني والحضاري كما وردت في تفسير الظلال تحتاج إلى استنباط وبيان، وذلك بتحديدها وتصنيفها وبيان منهج القرآن الكريم في التعامل معها. اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي بغرض تتبع وجمع النصوص التي تطرقت إلى مفسدات البناء الإنساني والحضاري في تفسير



الظلال، كما اعتمد المنهج التحليلي الوصفي لتحليل النصوص المجموعة وملاحظة السياق الذي وردت فيه واستنباط مفسدات ومعوقات البناء الإنساني والحضاري. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي: أن حماية البناء الإنساني والحضاري من المفسدات يعتبر من صميم منهج القرآن في بناء الإنسان والحضارة، ومن النتائج أيضا أن مفسدات الإنسان والحضارة نوعان: ذاتية والمتمثلة في طبيعة الإنسان وميولاته ومن ذلك ارتكاب المعاصي، وخارجية والمتمثلة في شياطين الجن والإنس، وأن المنهج القرآني وضع السبل والآليات الكفيلة بحماية وصيانة الإنسان والحضارة من هذه المفسدات.

الكلمات الدلالية: مفسدات، معوقات، بناء الإنسان، بناء الحضارة، في ظلال القرآن.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إن الغاية الأصيلة من إنزال القرآن الكريم -كما ورد في تفسير الظلال- هي البناء بكلّ أنواعه، بناء الإنسان من جميع نواحيه، وبناء الحضارة بشتى مجالاتها، فالبناء هو لبّ القرآن الكريم ومهمته[1]. غير أن البناء في ضوء القرآن الكريم يمرّ على مستويات ومراحل، وذلك حتى يكون محكما، وذا أثر حقيقي وفعال في الواقع، وعملية البناء لا تقتصر على بناء الإنسان وتأسيس حضارته، بل هناك مستوى آخر يعتبر من صميم عملية البناء والذي يتمثل في الوقاية والصيانة حيث يعرض المنهج القرآني طبيعة المعركة التي يخوضها الإنسان وطبيعة أعدائه ووسائلهم ومكرهم[2]. وقد تشدد القرآن الكريم في قضية المفسدات والمعوقات كثيرا، لأنها بكل بساطة تؤدي إلى نتيجة واحدة ووحيدة وهي الانحراف عن أداء الوظيفة الوجودية المتمثلة في عمران الاستخلاف،



وبالتالي يفقد المعنى من الوجود الإنساني في هذه الأرض، بل وينتقل إلى الجهة المناقضة تماما وهي جهة الإفساد فيشتغل بعكس ما أُمر به حيث "يغدو صاحبها مجرّد أداة للإفساد في الأرض، ولإهلاك الحرث والنّسل، ابتغاء مصالحه وأهوائه الشخصية، مهما تحلّى ظاهره بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة"[(3)].

والذي يهمنا في هذا البحث هو نظرة سيد من خلال تفسيره الظلال إلى مفسدات البناء الإنساني والحضاري والوقاية منها في ضوء القرآن الكريم. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة: وفيها توطئة للموضوع.

المبحث الأول: أهمية الوعي بمفسدات البناء الإنساني والحضاري.

المبحث الثاني: تعريف الفساد.

المبحث الثالث: أنواع مفسدات البناء الإنساني والحضاري.

الخاتمة.

المبحث الأول: أهمية الوعي بمفسدات البناء الإنساني والحضاري

يؤكد سيّد حقيقة مهمة وهي أنّ بيان المفسدات والحديث عنها وتبصير الإنسان بها يعتبر طرفا أصيلا من المنهج القرآني لبناء الفرد وإعداد الجماعة المسلمة، كما قال –تعالى-: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [(4)] فكما يبرز مجالات بناء الإنسان بمختلف جوانبه والحضارة بشتى مجالاتها ويبين طرق البناء ووسائله وآلياته فإنه كذلك يكشف الباطل ويفضحه ويبين المفسدات ويجردها، حتى يحفظ ذلك البناء ويعصمه مما يهده[(5)].

فلذلك زوّده "بالتجربة الأولى في الصراع الطويل في الأرض، بين قوى الشرّ والفساد والهدم ممثلة في إبليس،



وقوى الخير والصلاح والبناء ممثلة في الإنسان المعتصم بالإيمان"[6]. ويشدد سيّد على حقيقة أنّ الإنسان هو أضخم أسس العمران والحضارة، فإذا دُمرّ "فلن تقوم الحضارة على المصانع وحدها، ولا على الإنتاج"[7].

المبحث الثاني: تعريف الفساد عن سيّد قطب

يرى سيّد أن رأس الفساد يتمثل في أمر واحد وهو الابتعاد عن منهج الله –تعالى– الذي ارتضاه مرجعا للبشر يحكم حياتهم، فإن الابتعاد عن هذا المنهج والانحراف عنه يؤدي إلى الفساد لا محالة، إذ لا يتصور أن تصلح الأرض ومنهج الله –عزَّ وجلَّ– وشريعته مغيّبان عن دنيا الناس وحياتهم، أو أن يُتَّخَذ منهجٌ آخر وشريعة أخرى ليستمد منها الناس شؤونهم وأمورهم، فانقطاع الصلة بين العباد وربهم يترتب عليه فساد عظيم وشامل لكل ما على الأرض، فساد في التصور والضمير والخلق والسلوك وفي الروابط والمعاملات بين الناس، وفساد في علاقتهم مع الكون[8]. ومن خلال تعريف سيّد للفساد يتبين أنّ المفسدين الحقيقيين في الأرض هم الذين يحاربون إقرار منهج الله –تعالى– في الأرض ويحولون بينه وبين البشرية، ويسعون إلى إقصائه من حياة الناس وصرفهم عنه وحرمانها من خيره، ويفتنون كلّ من يلتزم به ويتخذه منهجا لحياته، فأولئك هم المفسدون الحقيقيون[9].

وزيادة على ذلك، يقرر سيّد أن هناك "علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء من عند الله لهداية البشر إلى الحق والصلاح والخير. فالذين لا يستجيبون لعهد الله على الفطرة، ولا يستجيبون للحق الذي جاء من عنده ويعلمون أنه وحده الحق.. هم الذين يفسدون في الأرض كما أن الذين يعلمون أنه الحق ويستجيبون له هم الذين يصلحون في الأرض، وتزكو بهم الحياة"[10]. إذن فكلّ صلاح مردّه إلى الإيمان والاستقامة على منهج الله –عزَّ وجلَّ–، وكلّ فساد مردّه إلى الكفر والانحراف عن منهج الله –تعالى



المبحث الثالث: أنواع مفسدات البناء الإنساني والحضاري:

ذكر سيّد أن انحراف الإنسان وفساده وبالتالي فساد حضارته يرجع إلى أمرين، يمكن الاصطلاح عليهما بالمفسدات الداخلية أو الذاتية، والمفسدات الخارجية، والمقصود بالمفسدات الداخلية أو الذاتية هي تلك التي ترجع إلى "العوامل المعقدة المتشابكة في تكوين الإنسان في ذاته" وهي عبارة عن تلك "الثغرات الطبيعية في النفس البشرية"[11]، أما المفسدات الخارجية فتتمثل في العوالم التي يتعامل معها الإنسان، مثل شياطين الإنس والجنّ، الذين يستغلون تلك الثغرات في تكوين الإنسان الذاتي فينفذون منها ليفسدوه ويهلكوه[12].

أولا: المفسدات الداخلية:

أ- حب الدنيا والتعلق بها: يرى سيّد أن حبّ الدنيا والتعلق بها وسوء تصور حقيقتها من مفسدات الإنسان والحضارة، فالله -عزَّ وجلَّ- خلق الإنسان واستخلفه في الأرض ومكَّن له فيها على شرط أن يعبده وحده ويتلقى منه وحده لأنه المالك وهو مستخلَف في ملكه، غير أنّ الإنسان ينسى هذه الحقيقة ويغفل عنها، فيجعل نفسه مكان الإله ويتصرف فيها تصرف من يملك لا من هو مستخلف، فإذا صار هذا حال الإنسان فإنه سينحرف عن سنن الله —تعالى- ويحيد عن الطريق، فيستحق حينئذ العقاب والعذاب[13].

ومن جهة أخرى، فإن الاستغراق في لذائذ الدنيا وشهواتها، والاسترسال في تلبية دوافع الميول الفطرية والاهتمام بالأهداف الدنيوية فقط، يحجب الإنسان عن التطلع للأهداف السامية والغايات الرفيعة، ويقزم اهتماماته ويقعد به عن أداء مهمته الكبرى في الوجود فلذلك جاء النهي عن اختلاط أولوياته وانحرافه عن هدفه بسبب تعلقه بالدنيا، وارتقى المنهج القرآني باهتماماته وطموحه وتطلعاته إلى ما وراء الغايات الدنيوية[14].



كما أنّ الاستغراق في الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة، يدفع الإنسان إلى محاربة منهج الله – تعالى– والصد عن سبيله، إذ لا يمكنه الوصول إلى غاياته السيئة من استغلال الناس واستعبادهم والكسب الحرام في ظل هذا المنهج، فإذا صدَّ عن منهج الله –تعالى– وعزله عن الوجود وأقصاه، فحينئذ يمكنه تحقيق غاياته قال –تعالى–: {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} (15) (16).

ولا يُفهم من وصف المنهج القرآني للدنيا بأنها من معوقات البناء الإنساني والحضاري ومن مفسداتهما أن ينقطع الإنسان عن عمارتها وتنميتها والانتفاع بخيراتها والزهد في طيباتها وأن هذا يعارض صلاح الدار الآخرة[17]، كلا، فهذا من صميم مهمته الكبرى في هذه الأرض كما أن صلاح الآخرة يقتضي صلاح الدنيا[18]، ولكن المقصود بالدرجة الأولى من هذا التحذير هو الركون إليها واتخاذها هدفا وغاية في ذاتها وتقديمها على عقيدته واستحبابها على الحياة الأخرى. أما إذا كانت الكلمة الأولى للعقيدة وكانت هي المسيطرة والموجهة لمتاع الدنيا وأعراضها واتُّخِذَت هذه الدنيا وسيلةً لنيل رضوان الله –تعالى– وتمهيدا للدار الآخرة، فلا حرج حينئذ أن يستمتع الإنسان بطيبات الحياة كلّها بشرط أن يطرحها وينبذها إذا تعارضت مع العقيدة[19].

ب– المعاصي من المفسدات:

ذكر سيّد أن الذنوب والمعاصي من مفسدات البناء الإنساني والحضاري، وقد تكررت الإشارة إلى هذه القضية في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله –تعالى–: {فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} [20]، فهذا النص –ومثله في القرآن كثير– يبرز العلاقة الحتمية والمباشرة بين هلاك الأمم وانتشار الفساد فيها، ويقرر سنّة ماضية لا تتخلف أبدا وهي أن الذنوب والمعاصي تهلك أصحابها، فإذا فشت المعاصي في أمّة فإن مصيرها –لا محالة–



الهلاك والدمار وهذا من أحد طريقين، إما أن تحلّ عليها عقوبة أو ينزل عليها عذاب من الله –تعالى– كحال بعض الأمم من قبل، وإما أن تنحل انحلالا بطيئا فطريا طبيعيا وتفقد عناصر قوتها نتيجة انغماسها في الذنوب، ويشهد لذلك ما آلت إليه الأمم التي فشت فيها شتى المعاصي والذنوب مثل الانحلال الخلقي، والترف، والانشغال بالنعيم، كما حصل مع حضارة الإغريق والرومان في التاريخ القريب وكما بدت بوادره عند بعض الدول المعاصرة كفرنسا وبريطانيا، فهذه هي سنة الله –تعالى– التي لا تتبدل ولا تتخلف، فحين توجد الأسباب تتبعها النتائج، وهي سنة مضت من بعد قوم نوح جيلا بعد جيل، كلّما فشت المعاصي وانتشرت الذنوب في أمة من الأمم وحضارة من الحضارات كان الهلاك مصيرها، قال –تعالى–: {وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، وَكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً} [21] [22].

ويجب التنبيه هنا إلى أمر مهم وهو أننا نرى بعض الدول قد أوغلت في المعاصي ومع ذلك فإنها لم تهلك ولم تفسد، فيجيب سيّد عن ذلك بقوله: "ولقد يقال: إن أمما لا تؤمن ولا تحسن ولا تصلح ولا تعدل. وهي مع ذلك قوية ثرية باقية. وهذا وهم. فلا بد من بقية من خير في هذه الأمم. ولو كان هو خير العمارة للأرض، وخير العدل في حدوده الضيقة بين أبنائها، وخير الإصلاح المادي والإحسان المحدود بحدودها. فعلى هذه البقية من الخير تعيش حتى تستنفدها فلا تبقى فيها من الخير بقية. ثم تنتهي حتما إلى المصير المعلوم. إن سنة الله لا تتخلف"[23].

وعلى صعيدٍ آخر يؤكّد سيد ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعتبره صمام أمان الأمم والشعوب، وأن القيام به سمة المجتمعات الفاضلة وتركه سمة المجتمعات الفاسدة المؤذنة بالانهيار، فإذا وجد في الأمة التي يقع فيها الفساد من يقف موقفا إيجابيا فيرفض هذا الفساد بالدفع والإنكار والنصح والتوجيه، فإن هذه الأمة ستنجو من الهلاك والدمار. وأما إذا كان موقف أفراد تلك الأمة من الفساد والظلم موقفا



سلبيا جامدا فلم ينكروه ولم يدفعوه، أو وُجد من يستنكره غير أنه لا يبلغ درجة التأثير في الواقع الفاسد، فإن مآل تلك الأمة إلى الهلاك والدمار بالاستئصال أو الانحلال والاختلال[24].

ج- التكذيب بالرسالة: يذكر سيّد أن التكذيب بالرسل والرسالات من مفسدات الإنسان والحضارة، إذ يؤدي ذلك إلى الدمار والهلاك، وعاقبة المكذبين معلومة ومعروفة وهي سنة من سنن الله -عزَّ وجلَّ- لا تتخلف. وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله -تعالى-: {ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ، فَكَفَرُوا، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ، إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ} [25] [26].

ولقد ضرب الله -تعالى- أمثالا كثيرة لأمم وحضارات في السابق حلّ بها العذاب والدمار ولم تعد شيئا مذكورا بسبب أنها كذبت بالبينات وبالرسل، كمثل القرية التي كانت تتمتع بكل مقومات الحياة والرفاهية غير أنها كذبت رسول الله -عزَّ وجلّ- إليها وتنكرت للبينات "فمضت فيها سنة الله في المكذبين"، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ} [27] [28].

وفي المقابل فإن الإيمان بالرسالة واتباعها يعصم الأمم من الهلاك والدمار ويمد في أعمارها ويجعل عيشها رغدا ويجلب لها البركات، قال -تعالى-: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ} [29] [30]. وتجدر الإشارة إلى أنّ الدمار والهلاك والعقوبات التي تلحق الأمم بسبب إغراقها في المعاصي وتكذيبها للرسل إنما هو ثمرة أعمالها واختيارها وسلوكها، قال -تعالى-: {فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا، وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ}[31].



ثانيا: المفسدات الخارجية:

يذكر سيّد أنّ طبيعة المنهج القرآني بأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها من عدل وخير واستقامة ومساواة، تقتضي وجود أعداء يرفضونه ويسعون إلى الوقوف في سبيله ومحاربته باليد والقلب واللسان لأنه يهدد وجودهم وكيانهم ومصالحهم، فهؤلاء المفسدون موجودون دائما في كلّ أرض وفي كلّ جيل، وهم سنة من سنن الله – عزّ وجلّ–، كما أنّ وجود هذه المفسدات هو ابتلاء من الله –تعالى– وتمحيص منه لأوليائه لينظر أيصبرون، ثم لتصلح الحياة بالدفع ويتميز الحق بالمفاصلة ويتمحض الخير بالصبر[32].

ويذكر سيّد أن لشياطين الجنّ والإنس مصالحَ ومنافعَ من إفساد البناء الإنساني والحضاري، فبالنسبة لشياطين الجنّ فإن مصلحتهم تتمثل في أنهم ينجحون في الوسوسة لبني آدم وإغوائهم ليفسدوا عليهم حياتهم ودينهم، ويقودوهم إلى الهلاك في الدنيا والجحيم في الآخرة. وأما بالنسبة لشياطين الإنس فتتمثل مصلحتهم في السيطرة على الأوضاع والتحكم فيها وفق هواهم والمحافظة على المكاسب المادية والمكانة الاجتماعية وغيرها من المصالح الشخصية، وقد أخذ أعداء البشرية عهدا على أنفسهم أن يحاربوا هذا المنهج ويحاربوا كلّ من يتخذه منهجا لحياته، فهذا هدفهم الذي لم يتغير ولن يتغير، قال –تعالى–: {وَلا يَزَالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا} [33] [34].

أ– إبليس:

يصف سيد المعركة بين الشيطان وبني آدم بالمعركة الخالدة، وهي معركة قائمة بين إبليس الذي يمثل الشرّ، والإنسان الذي هو خليفة الله –تعالى– في الأرض[35]، فهي معركة بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والهدى والضلال. وميدان هذه المعركة هو الإنسان ذاته، وهو –وحده– الذي يتحمل تبعات الربح أو الخسارة[36].



ويعتبر سيّد معركة الإنسان مع الشيطان هي المعركة الرئيسية، وكلّ معركة يخوضها الإنسان مع الفساد –سواء على مستوى الضمير أو الحياة الواقعية في الأرض– فالشيطان يقف وراءها، يقول سيّد: " والمعركة في الضمير والمعركة في الحياة الواقعية متصلتان لا منفصلتان. فالشيطان وراءهما جميعا! والطواغيت التي تقوم في الأرض لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها وقيمها وموازينها، وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازين المنبثقة من دينه.. إنما هي شياطين الإنس التي توحي لها شياطين الجن. والمعركة معها هي المعركة مع الشيطان نفسه. وليست بعيدة عنها. وهكذا تتركز المعركة الكبرى الطويلة الضارية في المعركة مع الشيطان ذاته. ومع أوليائه. ويشعر المسلم وهو يخوض المعركة مع هواه وشهواته وهو يخوضها كذلك مع أولياء الشيطان من الطواغيت في الأرض وأتباعهم وأذنابهم وهو يخوضها مع الشر والفساد والانحلال الذي ينشئونه في الأرض من حولهم.. يشعر المسلم وهو يخوض هذه المعارك كلها، أنه إنما يخوض معركة واحدة جدية صارمة ضارية، لأن عدوه فيها مصرّ ماض في طريقه.. وأن الجهاد – من ثم – ماض إلى يوم القيامة. في كل صوره ومجالاته"[37]...

إن إبليس هو العدو اللدود والقديم للإنسان، الذي طلب النظرة إلى يوم القيامة لينتقم من آدم وذريته إذ يعتبره السبب في طرده من رحمة الله –تعالى–، وقد عزم وأصرّ وتوعد بأنه سيبذل كلّ جهده ليفسد الإنسان ويسوقه إلى الهلاك والدمار، وبأنه سيلاحقه في كلّ حالة، وأن يأتيه من كلّ صوب، وفي كلّ لحظة ليصرفه عن صراط الله –عزَّ وجلَّ– الذي هو طريق الهدى والحقّ، {قالَ: فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ، وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ}[38].



فمن هنا يتبين أن الشيطان لا يأمر الإنسان إلا بالشرّ، من سوء التصور وسوء الفعل، وغاية همه إخراج الإنسان عن منهج الله –تعالى-. وقد بيّن الله –تعالى– وظيفة الشيطان بأنه يأمر بالسوء والفحشاء، قال –تعالى-: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ} [39] [40].

آليات مواجهة الشيطان: من الآليات التي يتخذها المنهج القرآني في بناء الإنسان لمواجهة إبليس ما يلي:

– التذكير بالمعركة والعداوة المستحكمة بين الإنسان والشيطان: إنّ المنهج القرآني كثير التذكير للإنسان بعداوة الشيطان له وبالمعركة الخالدة بينهما، ويحذره من اتباعه أشد تحذير ويبين له أنه عدو له فليتخذه هو كذلك عدوّا، قال –تعالى-: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [41] [42]. كما أنه يستعرض له ما وقع في أول معركة في الجنة بين الشيطان وأبويه ليبين له أن هذه العداوة مستحكمة وحتى لا يقع في كيده كما حصل مع أبويه، قال –تعالى-: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} [43]، وزيادة على ذلك فإنه يكشف له عن عزم الشيطان وسوء قصده وإصراره على إغوائه وإفساده وأن هذا هو هدفه في الأرض والشعار الذي اتخذه منذ المعركة الأولى، حيث يقول: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [44]، كما يبيّن له أنه لا يدعو إلى خير، ويبين لهم مصير من يتبعه قال –تعالى-: {إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ} [45] [46].

والغرض من التذكير المستمر للإنسان بهذه العداوة وتوعيته بهدف هذا العدو وتحذيره منه هو دعوته لأخذ الحيطة والحذر وعدم الاستسلام له والركون إليه فيما يتخذه لنفسه من مناهج وتقاليد، لأنه يعلم علم اليقين أنه سيقوده إلى الهلاك والضلال تماما كما فعل مع أبويه من قبل[47]. ومعرفة الإنسان بخلفيات هذه المعركة وإدراكه أن له عدوا يتربص به ويقف له بالمرصاد ويسعى لإفساده من شأنه أن يجعله حذرا ومتيقظا وفي حالة استعداد دائم، وأن لا يتبعه في أي أمر من الأمور، إذ العاقل لا يركن إلى عدوّه ولا يتبع خطاه ولا



يتخذه ناصحا، فحين يستحضر الإنسان هذا كلّه فإنه يصبح أشّد حرصا على الانتصار في هذه المعركة وهذا ما يسعى المنهج القرآني لإيجاده في ضمير الإنسان(48).

- **التحذير منه وبيان أن الاصطفاف معه يعني ترك الحق:** قال -تعالى-: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً. وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (49)، فليس أمام الإنسان إلا طريقان اثنان لا ثالث لهما، طريق الحق والهدى الذي هو طريق الله –تعالى-، أو طريق الباطل والضلال الذي هو طريق الشيطان. فله الاختيار، فإما أن يكون من حزب الله –تعالى- أو حزب الشيطان(50).

- **التعريف بوظيفة الشيطان وكشف حقيقته وأساليبه في الإغواء:** حرص المنهج القرآني على كشف خطة الشيطان وبيان أساليبه ومداخله التي يلجأ إليها في معركته ضد الإنسان، وذلك حتى يكون الإنسان على بينة من أمره وليأخذ الحيطة والحذر(51)، ومن أبرز الأساليب التي يقوم الشيطان باتباعها لإفساد الإنسان: التزيين؛ وذلك بتزيين السيئ والقبيح من القول والفعل، فيستدرج الإنسان إلى الخروج من عبادة الله –عزّ وجلّ-، قال –تعالى-: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} (52)، فالشيطان يعرف مداخل النفس البشرية ونقط ضعفها، فهو يأتيها من تلك المداخل(53). قال سيّد: "وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزينه وتجمله، وتظهره في غير حقيقته وردائه. فليفطن الناس إلى عدة الشيطان وليحذروا كلما وجدوا في أمر تزيينا، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء. ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك"(54)..

وزيادة على ذلك، فإن المنهج القرآني يخبر الإنسان بحقيقة مهمة وهي أن للشيطان القدرة على رؤية الإنسان في حين أن ليس للإنسان القدرة على رؤيته، وهذا يجعله أقدر على ممارسة التزيين وفتنة الإنسان بوسائله الخفية، قال –تعالى-: {إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} (55) (56).



- **بيان كيفية الخلاص منه: وذلك بالاستعاذة بالله –عز وجلّ– منه:** يقرر المنهج القرآني حقيقة أنّ للشيطان القدرة على إغواء الناس من خلال أساليب وطرق متعددة، وكثيرا ما ينجح في ذلك، وفي المقابل فإنه يقرر أن ليس له سلطان إلا على الضعفاء من البشر، الذين لم يتصلوا بالله –عزّ وجلّ– ولم يلجئوا إليه، أمّا المؤمنون الذين يتحلون بالإيمان والذكر ويتعلقون بالله –تعالى– فليس للشيطان عليهم سلطان ولا سبيل، وليس لكيده عليهم أي تأثير، وهذا شرط الشيطان نفسه: {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (57) (58). ويقول –تعالى– في موضع آخر من سورة النحل: {فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (59). وهكذا الأمر إذن، فإن في الإنسان استعدادا للهداية واستعدادا للشر، فإذا استعاذ بالله –عزّ وجلّ– ارتفع وسما وعصم نفسه من إغواء الشيطان، وإذا انقطع عن خالقه وغفل عنه فإنه سيستسلم للشيطان ويتخذه وليا(60).

ومما يدل على كون الاستعاذة بالله –عزّ وجلّ– من الشيطان من الأهمية بمكان أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– –وهو المعصوم من الشياطين– استعاذ منهم، "زيادة كذلك في التوقي، وزيادة في الالتجاء إلى الله، وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين. بل إن الرسول ليوجه إلى الاستعاذة بالله من مجرد قرب الشياطين، لا من همزاتهم ودفعاتهم: {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} (61) (62).

فمعرفة الإنسان أن الاستعاذة بالله –تعالى– حصن حصين تعصمه من كيد الشيطان وإفساده يبعث في نفسه الطمأنينة والراحة بأنه في أمان من الشرّ والفساد وبأنه لن يغلب في هذه المعركة ما دام مستندا إلى خالقه. على عكس الشرّ الذي يستند إلى شيطان ضعيف ينهزم بسهولة أمام العياذ بالله –تعالى–(63).



وبعد هذا البيان كله يمكن للإنسان أن يرى عدوه عاريا، ويعرفه على حقيقته، ليكون على حذر من مكره ووسوسته(64).

ب- شياطين الإنس:

سبق وأشرنا إلى أن سيّدا يعتبر شياطين الجن والإنس من مفسدات الإنسان والحضارة، كما يرى أن المعركة الرئيسية التي يخوضها الإنسان في هذه الدنيا هي في الحقيقة معركة مع الشيطان فهو أكبر مفسد، وبالتالي فإن المعارك الأخرى مع شياطين الإنس أو غيرها هي معارك يقف وراءها الشيطان. وهؤلاء جميعا يشتركون في أنهم يسعون جاهدين لصرف الإنسان عن هدى الله -تعالى- ومنهجه والحيلولة دون تطبيقه وتنزيله في أرض الواقع، وهذا أكبر فساد يتعرض إليه الإنسان والأمة(65).

ذكر سيّد أن المنهج القرآني عرّف الإنسان والأمة بِعَدُوِّها وحدَّد صفاته، وهو كلّ من يحارب منهج الله -جلّ وعلا- وشريعته ويسعى إلى منع الأمة من الالتزام بها وتطبيقها في حياتها، كما ذكر أنّ أعداءها كثيرون ومتنوعون غير أنهم يشتركون ويَتَّحِدون في هدف واحد وهو السعي لإقصاء منهج الله -تعالى- من حياة الأمة، والعمل على طمس العقيدة الإلهية الصحيحة في نفوس المسلمين. كما أن عداءهم لها مستحكم في قلوبهم، وهم موجودون في كلّ زمان ومكان، ولذلك حرص المنهج القرآني على تعريف الأمة بحقيقتهم، وبيان أهدافهم ووسائلهم ومكرهم وكيدهم لها لتتخذ الأمة الاحتياطات اللازمة لتربح المعركة(66). وفيما يلي عرض للطوائف التي كشفها المنهج القرآني وحذر الأمة من كيدها:

أهل الكتاب: من الطوائف التي كانت -ولا تزال- تناصب الأمة العداء طائفة أهل الكتاب - اليهود والنصارى- فقد كشف القرآن الكريم نواياهم الخبيثة وهدفهم الحقيقي من وراء محاربتهم للأمة، والذي يتمثل في صرف المسلمين عن الدين الحق وتحويلهم إلى دينهم المحرف، قال -تعالى-: {وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ



الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (67)، فلن يشفي غليل اليهود والنصارى إلا أن يرتد المسلمون عن دينهم وشريعتهم، وإلا فإنّها الحرب والمكيدة، وهذا هو الهدف الحقيقي من وراء العداء الذي يكنه أهل الكتاب للأمة وهو الدافع الوحيد من وراء محاربتهم لها حتى وإن تخفَّوْا خلف حجج وأسباب أخرى(68).

المنافقون: وهم صنف من الناس يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر فهم لا يملكون الشجاعة على مواجهة الحق سواء بالإيمان الصريح أو الكفر الصريح، وتتميز طباعهم بسوء الطوية ولؤم السريرة، كما يُعرَفون بإيذاء الصف المسلم وشغله بالفتن والدسائس والتخذيل(69). ويعتبر القرآن الكريم هذا الصنف من النّاس العدو الحقيقي للجماعة المسلمة، بل إن المنافقين في الحقيقة أخطر من العدو الخارجي الصريح، لأنهم أعداء متخفون داخل المعسكر والصف الإسلامي، قال –تعالى-: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} (70) وقد استنزف المنافقون الكثير من جهد الجماعة المسلمة ووقتهم وطاقاتهم(71).

وقد أرشد المنهج القرآني المجتمع المسلم إلى طريقة التعامل مع هؤلاء المنافقين، وذلك باجتنابهم والابتعاد عنهم خطوة خطوة، كالنهي عن شهود مجالسهم التي يستهزؤون فيها بآيات الله –تعالى-، غير أنه يلاحظ أنه لم يؤمر بمقاطعتهم البتة لأنهم كانوا كثيرين ومتغلغلين في المجتمع المسلم مما يجعل مقاطعتهم أمرا صعبا ومستحيلا(72).

– آليات مواجهة المفسدات الخارجية:

يرى سيّد أنّ المنهج القرآني اعتمد عدة آليات في مواجهة المفسدات الخارجية والمتمثلة في الكفار وأهل الكتاب والمنافقين وكلّ من يناصبها العداء، وفيما يلي بيان لتلك الآليات:

– توعية الأمة بمشقة الطريق وبيان أعدائها: ويتم ذلك عن طريقين، الأول يتمثل في إعدادها الإعداد النفسي وإعلامها بوجود تلك العوائق والمشقات، والثاني يتمثل في تعريفها بحقيقة أعدائها:



أ- الإعداد النفسي: حيث يعرض للجماعة المسلمة طبيعة الطريق والعقبات الموجودة فيه وما ينتظرها فيه من مشاق وآلام وما يستدعيه من تضحيات جسام كحال كلّ جماعة قامت بحمل هذه الأمانة من قبل، حتى تكون مستعدة لتحمل تكاليف هذه الأمانة التي لا مناص منها، ولتقبل عليها منشرحة الصدر وراضية النفس، مستبشرة بنصر الله –تعالى- كلما اشتدت الأمور في طريقها، ويتجلى هذا في نصوص كثيرة كقوله –تعالى-: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً. وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (73) (74).

وزيادة على ذلك فإن وجود الأعداء والعقبات في الطريق من شأنه أن يقوي عود الجماعة المسلمة ويمنحها الجديّة، كما أنه يميز الدعوات الصادقة ويكشف الدعاوى الزائفة، ويمحصّ أفرادها فلا يبقى منهم إلا العناصر الصادقة المؤمنة الجادة(75).

ب- تعريفها بأعدائها: وذلك من خلال تبصير الجماعة المسلمة بمن يحيط بها وبمن يعترض طريقها، وبيان حقيقة أعدائها بكلّ أطيافهم وألوانهم(76). والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر مثالا واحدا يكشف فيه المنهج القرآني محاولة فريق من أهل الكتاب نشر الفتنة بين أفراد الجماعة المسلمة وذلك من خلال حيلة ماكرة لئيمة سجلها القرآن الكريم في قوله: {وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ: آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ} (77) حيث تقوم طائفة من أهل الكتاب بإظهار الإسلام ثم الرجوع عنه بزعم أنهم اطلعوا على ما جعلهم يتركون هذا الدين، وهذا من شأنه أن يحدث زعزعة في بعض ضعاف النفوس فيشككهم في دينهم إن كانوا مسلمين أو يصدهم عن الإسلام إن كانوا غير مسلمين(78).



– **النهي عن الركون إليهم واتخاذهم أولياء:** يحذر المنهج القرآني أتباعه من اتخاذ أعدائهم أولياء، وأن يركنوا إليهم ويتخذوا منهم أمناء على أسرارهم ومصالحهم، لأن هؤلاء الأعداء يضمرون كره الإسلام والمسلمين، ويبيتون لهم الشرَّ والنوايا السيّئة، فهم لا يريدون للمسلمين إلا الفساد والخسران والاضطراب، فلن يتركوا وسيلة فيها إعنات المسلمين والكيد لهم والدسّ عليهم إلا أتوها، قال –تعالى–: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا. وَدُّوا ما عَنِتُّمْ. قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ، وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ. قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} (79) (80).

كما يحذرهم من طاعة أعدائهم والتلقي عنهم في قضايا العقيدة والغاية من الوجود، ومنهج الحياة وشرائعها وتنظيمها الاجتماعي، لأن هؤلاء الأعداء –كما سبقت الإشارة إليه– لا يريدون الخير لهذه الأمة فهم سيضلونها عن عقيدتها ويقودونها إلى الكفر وإلى الخسارة المؤكدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن "طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعدا في طريق النماء والارتقاء. وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب"(81). ويشدد سيّد على حقيقة أن "المؤمن يجد في عقيدته، وفي قيادته، غناء عن مشورة أعداء دينه وأعداء قيادته"(82).

وعلى صعيد آخر فإن المنهج القرآني أمر المسلمين باجتناب المجالس التي يكفر فيها بآيات الله –عزّ وجلّ– ويستهزأ بها، فإمّا أن يدافع عن آيات الله –تعالى– أو يقاطع ذلك المجلس وأهله، "فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق! هو أولى مراحل الهزيمة"(83).



– **القتال**: يرى سيّد أن مواجهة الأمة لأعدائها بالقتال والجهاد أمر ضروري لا مفرّ منه، ذلك أن الفساد لا يبقى جامدا سلبيا، لأنه ذو طبيعة شريرة ولا يرضى بوجود الحق، بل يمضي ليعتدي عليه ويحاربه ويسعى إلى إضلال المهتدين ولن يتركهم حتى يتركوا منهج الله –تعالى– كلية ويتخلوا عن عقيدتهم، فلا بدّ إذن من محاربة الكفر بالإيمان والضلال بالهدى لإقرار منهج الله –تعالى– في الأرض، فمعركة الجماعة المسلمة مع أعدائها مفروضة عليها فرضا ولا مفر من خوضها والصبر عليها، وقد ورد الأمر بالقتال في مواضع كثيرة، منها قوله –تعالى–: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا}[84] [85].

ويتجلى الهدف من وراء الأمر بالقتال في أنه ضمانة لنهوض الجماعة المسلمة بتكاليف الأمانة، والدفاع عن المسلمين وتوفير الحماية لهم وضمان عدم افتتانهم، كما أنه وسيلة لدفع الشّر والفساد، وكسر شوكته وتجريده من قوته التي بها يفسد في الأرض ويسطو على المسلمين ويصدهم عن سبيل الله –تعالى–، ويحول دون انتشار منهجه في الأرض وبالتالي فإنه يحرم البشرية ذلك الخير الذي جاءها من عند ربها، وهذا يعتبر أكبر جريمة يتعرض لها الإنسان تفوق جريمة الاعتداء على الأنفس والأموال، ومن هنا فلا بد من مواجهة القوة بالقوة والسلاح بالسلاح والعدة بالعدة. قال –تعالى–: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [86] [87].

لم يشمل الأمر بالقتال طائفة المنافقين المندسين في الصف المسلم بسبب الظروف والملابسات التي كانت تعيشها المدينة آنذاك ولم يثبت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمر بقتل منافق، وقد اختار المنهج القرآني خطة أخرى في التعامل مع هذه الطائفة، وهي أخذهم بما يظهرونه والإعراض عما يبدر منهم، وقد آتت هذه الخطة أكلها إذ إنها فتلتهم وأضعفتهم وتركت المجتمع نفسه ينبذهم، وزيادة على ذلك فقد



عملت هذه الخطة على قطع السند الذي يلجأ إليه المنافقون بطرد اليهود من المدينة ومن الجزيرة العربية كلها[88].

– **التثبيت والمواساة**: يسعى المنهج القرآني إلى تثبيت الجماعة المسلمة في مواجهة أعدائها بتذكيرها بأن ما هي عليه هو الحقُّ، وأنّ ما عليه أعداؤها هو الباطل، ويذكرها بحقيقتها وقيمتها وقيمة العقيدة التي تحملها كما يذكرها بدورها في هذه الأرض، كما في قوله –تعالى-: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [89] [90]، كما يعمل على بيان أنّ الله –تعالى– معهم وفي صفّهم وهو أعلم بأعدائهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن النصر سيكون –لا محالة– حليفهم، قال –تعالى-: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ. وَكَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا. وَكَفى بِاللَّهِ نَصِيراً} [91] [92].

كما يذكرهم أن وعد الله –تعالى– الحق وسنته التي لا تتبدل ولا تتخلف يقتضيان أن الغلبة لأصحاب الحقّ الملتزمين بمنهج الله –تعالى– والناصرين له، قال –عزّ وجلّ-: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ} [93]، فهذا وعد للجماعة المسلمة بأنها منصورة وبأن عاقبتها الغلبة والتمكين مهما اعترض سبيلها المعترضون، ومهما وضعوا في طريقها العراقيل، وزيادة على ذلك فإنه يعدها بما عند الله –عزَّ وجلَّ– في الدار الآخرة وهو جزاء عظيم[94].

وفي المقابل فإن المنهج القرآني يهون من شأن أعداء الأمة المسلمة، ويبين لهم هزالهم وضعفهم لأنهم كافرون بالله –عزَّ وجلَّ– ضالون عن طريقه، كما يخبرهم بأن هؤلاء الأعداء سيُغلبون ويخسرون مهما بذلوا من الجهود وأنفقوا من الأموال، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن مصيرهم إلى النار[95].

وفي الأخير فإن سيّداً يؤكد حقيقة مهمة وهي أنّ المفسدين الذين حذر المنهجُ القرآني الجماعةَ المسلمة منهم في أول أمرها والذين سماهم بأعدائها التقليديين –من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب وغيرهم–



هم نفس أعدائها في العصر الحديث وفي كلّ عصر، وقد أرشدها أحسن إرشاد في مواجهتهم فانتصرت عليهم ودانوا لها، ويؤكد كذلك أنه لا يمكن للجماعة المسلمة أن تعرف دسائس أعدائها وكيدهم بذلك التفصيل الدقيق إلا من القرآن الكريم، ولذلك فإن الرجوع إلى المنهج القرآني والاستمداد منه لمعرفة هؤلاء الأعداء وصفاتهم وطباعهم وأهدافهم ووسائلهم ومكرهم وكيدهم وطريقة التعامل معهم وأخذ الأسلحة اللازمة والعدة الواقية، إن استمداد الأمة لهذا كله يعتبر أمرا غاية في الأهمية إذا أرادت النجاة من كيد أعدائها والانتصار عليهم في المعركة[96].

ففي القرآن الكريم عرض مفصل للتوجيهات اللازمة في طريقة مواجهة هؤلاء الأعداء وكيفية التعامل معهم، غير أن الأمة –للأسف– لا تنتفع بتوجيهات القرآن في كيفية التعامل مع أعدائها، وبالتالي فإنها تبقى منهزمة ومغلوبة على أمرها حتى تُقبِل على التوجيهات القرآنية فتنتصر على أعدائها في تلك المعركة كما انتصر أسلافها على أعدائهم في ظل تلك التوجيهات القرآنية[97].

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

– أنّ البناء الإنساني والحضاري تعترضهما مفسدات ومعوقات تحول دون قيامهما أو تعمل على إفسادهما وهدمهما، والمفسدات نوعان: داخلية وخارجية.

– أنّ المنهج القرآني لا يقتصر في عملية بناء الإنسان والحضارة على التأسيس فحسب، بل اتخذ إجراءات وقائية تحفظ هذا البناء وتصونه من الهدم والهلاك، فلذلك عرّف الإنسان بهذه المفسدات وأرشده إلى كيفية اجتنابها واتقائها.



- أنّ فساد الإنسان يرجع إلى عاملين وهما: التركيبة الفطرية في تكوين الإنسان ذاته، والعوالم التي يتعامل معها الإنسان، وقد بين المنهج القرآني طرق وآليات التعامل مع كلّ نوع، سواء كان من المفسدات الذاتية؛ كارتكاب المعاصي، أو المفسدات الخارجية؛ مثل: إبليس.

- ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم والاستمداد منه —في كلّ زمان ومكان- في التعامل مع هذه المفسدات —سواء الداخلية أو الخارجية- لأن فيه التوجيهات اللازمة والسبل الضرورية التي تدفع عنها ضرر هذه المفسدات وتقيها العثرات ويسوقها إلى برّ الأمان.

الهوامش

[1] قطب، سيّد. (1434هـ، 2013م). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق. ط: 40. ج: 2، ص: 825.

[2] المرجع السابق، ج: 2، ص: 672، ص: 863.

[3] البوطي، محمد سعيد رمضان. (1998م). منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. دمشق: دار الفكر. ط: 3. ص 24. الأصفهاني، الراغب. (1408 هـ 1988م). تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي. ص: 31.

[4] الأنعام، آية: 55.

[5] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 2، ص: 1105، 1106.

[6] المرجع السابق، ج: 1، ص: 65.

[7] المرجع السابق، ج: 1، ص: 602، 603.

[8] المرجع السابق، ج: 1، ص: 52، ص: 437. ج: 3، ص: 1794.

[9] المرجع السابق، ج: 1، ص: 86، ص: 190. ج: 3، ص: 1345.

[10] المرجع السابق، ج: 3، ص: 1345. ج: 4، ص: 2075، 2076.

[11] المرجع السابق، ج: 3، ص: 1305 ج: 4، ص: 1882. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1420هـ، 2000م). التحرير والتنوير. بيروت - لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ج: 23، ص: 145. ج: 22، ص: 118.

[12] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1304، 1305.

[13] المرجع السابق، ج: 2، ص: 1037، 1038. العجمي، أبو اليزيد. حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، (سلسة دعوة الحق العدد 22، 1404/1/2 هـ، 1983/10/8م)، ص7.

[14] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 265، ص: 473- 475. ج: 6، ص: 3563. الخازن، علاء الدين. (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. ت: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ج: 2، ص: 344.

[15] إبراهيم، آية: 3.

[16] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 4، ص: 2086، 2088.



(17) كثيرا ما تنحرف الرؤى وتتشوه التصورات حول الموقف الصحيح من الدنيا وعلاقة الإنسان والمجتمعات بها، وقد أشار إلى لك علي شريعتي -رحمه الله- : "المجتمعات إما أن تتجه إلى التمسك بالزهد والآخرة، أو تنشد التراب والتمسك بالدنيا. كل المدَنيَاتِ كانت هكذا شريعتي، علي. (1411هـ). الإنسان والإسلام. طهران-إيران: دار الصحف للنشر، ط: 2. ص15.

(18) وفي هذا المعنى يؤكد الشيخ الغزالي -رحمه الله تعالى- بأنه لو قضى المسلم: "عمره قائما إلى جوار الكعبة، ذاهلا عما يتطلبه مستقبل الإسلام من جهاد علمي واقتصادي وعسكري، ما أغناه ذلك شيئا عند الله.. إن بناء المصانع يعدل بناء المساجد". الغزالي، محمد. (1412هـ، 1992م). الطريق من هنا. القاهرة: دار الشروق. ط: 3. ص: 20.

(19) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 214. ج: 3، ص: 1615، 1616. ج: 4، ص: 1853، 1854، ص: 2086، 2088.

(20) الأنعام، آية: 6. الأنفال، آية: 54.

(21) الإسراء، آية: 17.

(22) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 2، ص: 632، 633، ص: 1038، 1039. ج: 3، ص: 1340، 1341. ج: 4، ص: 2218، ص: 2212.

(23) المرجع السابق، ج: 4، ص: 2126.

(24) المرجع السابق، ج: 2، ص: 928، 929. ج: 3، ص: 1932، 1933، ص: 1496. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج: 11، ص: 345، 346، 347.

(25) غافر، آية: 22.

(26) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1824. ج: 4، ص: 2123، 2124. ج: 5، ص: 3076، 3077.

(27) النّحل، آية: 112.

(28) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 4، ص: 2199. ج: 5، ص: 2760، 2761.

(29) الأعراف، آية: 96.

(30) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1335، 1336.

(31) المرجع السابق، ج: 4، ص: 2170.

(32) المرجع السابق، ج: 1، ص: 552، 553. ج: 3، ص: 1181، ص: 1190، ص: 1202، ج: 6، ص: 3783، 3784.

(33) البقرة، آية: 217.

(34) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 227، 228. ج: 3، ص: 1218، ص: 1794.

(35) المرجع السابق، ج: 14، ص: 33، 58.

(36) المرجع السابق، ج: 4، ص: 61.

(37) المرجع السابق، ج: 3، ص: 1275.

(38) الأعراف، آية: 16، 17.

(39) البقرة، آية: 169.

(40) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 155. ج: 3، ص: 1274. ج: 4، ص: 2145، ص: 2504.

(41) فاطر، آية: 6.

(42) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 5، ص: 3199.

(43) الأعراف، آية: 27.

(44) ص، آية: 82.

(45) فاطر، آية: 6.



---

[46] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 5، ص: 2926.

[47] المرجع السابق، ج3، ص: 1279، 1280. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1421هـ، 2001م). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تحقيق: د. محمد الطاهر الميساوي. الأردن: دار النفائس، ص142.

[48] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 5، ص2926.

[49] البقرة، آية: 208.

[50] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 211، ص: 313. ج: 2، ص: 761.

[51] المرجع السابق، ج: 3، ص: 1277.

[52] الحجر، آية: 39.

[53] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 2، ص: 1275. ج: 4، ص: 2141، 2142، ص: 2145.

[54] المرجع السابق، ج: 4، ص: 2141، 2142.

[55] الأعراف، آية: 27.

[56] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1279، 1280.

[57] الحجر، آية: 39، 40.

[58] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1268، ص: 1275. ج: 4، ص: 2141، 2142.

[59] النّحل، آية: 98، 100.

[60] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 4، ص: 2194، ص: 2238، 2239. أبو زهرة، محمد. (د.ت). **زهرة التفاسير**. مصر: دار الفكر العربي، ج: 1، ص: 3044، 3045.

[61] المؤمنون، آية: 98.

[62] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 2480.

[63] المرجع السابق، ج: 6، ص: 4012.

[64] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 521.

[65] المرجع السابق، ج: 2، ص: 830.

[66] المرجع السابق، ج: 1، ص: 33. ج: 2، ص: 830.

[67] البقرة، آية: 120.

[68] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 33، ص: 100.

[69] المرجع السابق، ج: 1، ص: 42. ج: 3، ص: 1568، ص: 1673.

[70] المنافقون، آية: 4.

[71] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 6، ص: 3575. ص: 3572.

[72] المرجع السابق، ج: 2، ص: 774.

[73] آل عمران، آية: 186.

[74] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 45، ص: 204، ص: 535.

[75] المرجع السابق، ج: 5، ص: 2562.

[76] المرجع السابق، ج: 1، ص: 409، ص: 535. ج: 2، ص: 856.

[77] آل عمران، آية: 73.

[78] قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 415.

[79] آل عمران، آية: 118.



(80) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 451، 452.

(81) المرجع السابق، ج: 1، ص: 438. ص: 440، ص: 491. ج: 5، ص: 2822.

(82) المرجع السابق، ج: 1، ص: 491.

(83) المرجع السابق، ج: 2، ص: 780، 781.

(84) البقرة، آية: 190.

(85) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 284، 285. ج: 3، ص: 1306، 1307.

(86) البقرة، آية: 193.

(87) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 190، ص: 304. ج: 2، ص: 741، 742.

(88) المرجع السابق، ج: 2، ص: 720، ص: 729، 730. ج: 6، ص: 3575.

(89) آل عمران، آية: 110.

(90) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 354- 356، ص: 409. ج: 3، ص: 1643.

(91) النّساء، آية: 45.

(92) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 2، ص: 675، ص: 854.

(93) الصّافات، آية: 171، 173.

(94) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 1، ص: 535، 536. ج: 3، ص: 1486، ص: 1643. ج: 5، ص: 3001، 3002.

(95) المرجع السابق، ج: 1، ص: 354 -356، ص: 449. ج: 3، ص: 1500.

(96) المرجع السابق، ج: 1، ص: 33، ص: 65، ص: 83، 84، ص: 451، 452. ج: 2، ص: 803.

(97) المرجع السابق، ج: 1، ص: 42، ص: 83، 84، ج: 2، ص: 868. ج: 3، ص: 1627، 1628، ص: 1673.

قائمة المصادر والمراجع

- الأصفهاني، الراغب. (1408 هـ 1988م). تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- البوطي، محمد سعيد رمضان. (1998م). منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. دمشق: دار الفكر. ط: 3.
- الخازن، علاء الدين. (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. ت: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو زهرة، محمد. (د.ت). زهرة التفاسير. مصر: دار الفكر العربي.
- شريعتي، علي. (1411هـ). الإنسان والإسلام. طهران-إيران: دار الصحف للنشر، ط: 2.



- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1420هـ، 2000م). التحرير والتنوير. بيروت – لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.

.. (1421هـ، 2001م). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تحقيق: د. محمد الطاهر الميساوي. الأردن: دار النفائس.

- العجمي، أبو اليزيد. حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، (سلسة دعوة الحق العدد 22، 1404/1/2 هـ، 1983/10/8م).

- الغزالي، محمد. (1412هـ، 1992م). الطريق من هنا. القاهرة: دار الشروق. ط: 3.

- قطب، سيّد. (1434هـ، 2013م). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق. ط: 40.

